للحقيقة والتاريخ جهود الفنيين الزراعيين
بالاقليم المصرى فى استنباط الأقطان المصرية

للدكتور محمد على السكيلانى

يدرك الإقليم المصرى تماماً ما لإنتاج القطن من الأهمية فى الدخل القومى ولا أعدو الواقع إذ أقرر أنه ما من محصول فى أى بلد من بلاد العالم يلقى من العناية ما يلقاه القطن فى الإقليم المصرى .

ولقد قامت وزارة الزراعة بتنظيم الإنتاج وأصدرت كل القوانين الضرورية لضمان بقدر الاستطاعة وقاية كاملة للمحصول من بدء إعداد البذرة حتى تهيئته بالات للتصدير .

ويتهم البعض بين حين وآخر قولا وكتابة الاختصاصيين العرب بالإقليم المصرى بالعجز أو التقصير فى رفع شأن الأقطان المصرية ويعزو معظم الفضل إلى الأجانب فى تقدم شئون القطن . ونحن تسامحا نود أن نعذر هؤلاء لبعدهم عن نطاق العمل الصحيح أو لجهلهم بالواقع . ولكن من المؤلم حقا أن يعطى للأجانب أكثر من حقهم ويغمط حق المواطنين الذين لا يقلون كفاية أو إنتاجاً عن الأجانب . وقد دفعنى إلى كتابة هذه الكلمة الرغبة فى إعطاء كل ذى حق حقه ، ونحن نرجع فى هذا إلى ما جاء فى تقارير مؤتمرات القطن الدولية ولجانها الاستشارية التى اجتمعت فى الإقليم المصرى سنى ١٩٢٧ و ١٩٤٨ و ١٩٥١ وكذلك تقرير وزارة الزراعة عن البحوث الزراعية والفنية فى عشرين عاماً من ١٩٢٨ إلى ١٩٤٨ .

كان منشأ معظم أصناف القطن فى الماضى عن نباتات شاردة نتجت عن خلط طبيعى وكان أغلبها غير نقى فلم تعمر طويلا . أما الأصناف الحالية فقد استنبطت طبقاً للبحوث الفنية والدراسات العلمية مما استدعى وقتاً ومجموعة مشكاتفة من الفنيين لإنتاجها . وقد لا يدرك إلا القليلون أن الأمر يستدعى من

■ الدكتور محمد على السكيلانى : مدير قسم تربية النباتات سابقاً ووزير الزراعة الأسبق .

إحدى عشرة سنة إلى ثلاث عشرة سنة من البحوث المستمرة لإنتاج صنف من مثل هذه الأصناف ، ولكن لما كانت عجلة الإنتاج الفنى دائرة دون توقف وتختبر سنوياً مئات النباتات فلا غرابة إذا ظهرت سلالات جديدة بعد بدء العمل من سنة ١٩٢٠ . مع العلم بأنه يقتصر فقط على إكثار أفضل السلالات المبشرة بعد أن تكون قد مرت بسلسلة من الاختبارات الدقيقة ويستبعد كثير من السلالات رغم وجود ميزات لها لا تكون كافية للتغيير تمشياً مع رغبة الزارع والمصدّر والغزال .

ولقد كانت أول خطوة أدت إلى زيادة غلة القطن المصرى ودعم مستقبله هى إحلال قطن محو — جوميل حوالى عام ١٨٢٠ محل الأصناف البلدية التى كانت تزرع حينذاك ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى لويس الكسى جوميل الذى كان مديراً لمصانع الغزل والنسيج ببولاق أيام محمد على .

والخطوة الثانية فى زيادة الغلة هى استيراد أصناف من قطن البرازيل بين عامى ١٨٢٥ و ١٨٦٠ ، وأصناف من قطن سى أيلند فى الفترة بين عامى ١٨٢٧ و ١٨٦٥ — حدث التهجين الطبيعى بين الأصناف المختلفة ونتج عن ذلك الأقطان المصرية الجديدة حينذاك وكان أولها الأشمونى الذى اكتشف عام ١٨٦٠ فى بلدة أشمون بالمنوفية ، ولا يعرف مكتشفه ، ونتج عنه صنف العفيفى الذى وجده بركليس كاناقاس سنة ١٨٨٢ فى بلدة ميت عفيف بالمنوفية ونتج عنه صنف السكلاريدس الذى اكتشفه جون سكلاريدس عام ١٩٠٦ ، وهذه هى أهم الأقطان المصرية السابقة التى كان لها شأن فى زيادة غلة القطن المصرى ورفع سمعته فى الخارج ، ولا زال الأشمونى يحتفظ بمكانته بالوجه القبلى .

ولقد كان لمواطنينا اليونانيين فى الماضى فضل فى إيجاد أصناف عديدة من القطن ولكنها لم تعمر طويلا ؛ إما لعدم نقاوتها ، أو لأن صفاتها الزراعية والغزلية لم تكن فى المستوى المطلوب ، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر نقولا براخيمونس الذى انتخب أقطان النوبارى والزاجورا والفؤادى .

وتأتى الخطوة الثالثة والهامة فى زيادة غلة القطن المصرى ورفع مستوى صفاته وسمعته العالمية ببدء العمل الفنى على أسس علمية صحيحة بواسطة الاختصاصيين فى الهيئات العلمية وهى الجمعية الزراعية الخديوية (الهيئة الزراعية

المصرية) ثم وزارة الزراعة ، وذلك بواسطة الانتخاب الفردى أو التهجين بدلا من الاقتصار على الشوارد التى تظهر عفواً بين الأقطان المزروعة كما كان يتبع فى الماضى .

وكانت نتيجة تلك البحوث انتخاب قطن ٣١٠ من السكلاريدس وقطن نهضة من الأصيلى بواسطة الدكتور لورنس بولز فى سنتى ١٩١٠ و ١٩٢٤ ، غير أنه لم يكن لهما من المزايا الاقتصادية ما يساعد على انتشار إكثارهما . ثم ظهر قطن المعرض سنة ١٩٢٣ وهو منتخب من قطن بيما بواسطة فيكتور موصيرى رئيس البحوث الفنية بالجمعية الزراعية (الهيئة الزراعية المصرية) . وقد استوردت بذور قطن بيما من ولاية اريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية وأصله من الميت عفيفى المصرى ، وانتشرت زراعة المعرض فى مديرية الشرقية وبعض مديريات الدلتا .

ومن الأقطان التى جاءت نتيجة الانتخاب الفردى قطن جيزة ٧ الذى بدأ إكثاره سنة ١٩٣٠ وجاء عن نبات شارد فى حقل إكثار أشمونى شاهده طاهر العمرى الفنى بقسم تربية النباتات بوزارة الزراعة وتولاه القسم بالانتخاب . وقد ظهر قطن جيزة ٧ فى وقت كان الإقليم المصرى فيه فى أشد الحاجة إلى قطن يحل محل السكلاريدس الذى أصيب بمرض الذبول فتدهور محصوله .

ومن هذه الأقطان أيضاً قطن الأشمونى جديد ممتاز (جيزة ١٩) المنتخب من قطن جيزة ٢ . وجيزة ١٩ هو نتيجة عمل المرحوم حسين ثابت وزميله محمود فائق بقسم تربية النباتات ، وبدىء بإكثار الصنف فى عام ١٩٣١ .

وأول قطن ظهر وكان نتيجة التهجين بين الأشمونى والسكلاريدس هو قطن جيزة ١٢ الذى سمى بالوفير ، وهو نتيجة عمل جاد الله أبو العلا ومساعديه محمود جوهر وحسين عفيفى بقسم تربية النباتات ، وبدىء بإكثار الوفير فى سنة ١٩٣٠ ولم يدم طويلا لضعف تيلته .

ومنذ ذلك الحين اتخذ قسم تربية النباتات طريقة التهجين بين الأقطان لهدف معلوم وهو الجمع بين الصفات المرغوب فيها كوفرة المحصول وجودة الصفات وكانت نتيجة ذلك عدة أقطان معظمها لا زالت تحتفظ بأهميتها . وكانت تلك الأقطان نتيجة بحوث الدكتور محمد على الكيلانى ومساعديه محمود جوهر وحسين عفيفى وهى قطن الكرنك الذى بدأ إكثاره سنة ١٩٣٧ ، والملكى سنة ١٩٣٨ ،

وجيزة ٣٠ سنة ١٩٣٩ ، والمنوفى سنة ١٩٤٠ ، والأمون سنة ١٩٤١ ، وجيزة ٤٥ سنة ١٩٥٠ .

ومن أقطان الصعيد انتخب كليمنت براون والمرحوم محمود حلمى قطن جيزة ٣١ (دندرة) ، وقطن جيزة ٤٧ .

ومن سلالات التهجين التى كانت اختباراتها تبشر بمستقبل طيب وبدأ إكثارها سنة ١٩٥١ أقطان جيزة ٥٩ (منوفى × جيزة ٤٤) وهو أقرب إلى الأمون طيب المحصول ، وجيزة ٥٦ (منوفى × أمون) منافس للكرنك ، وجيزة ٥١ (منوفى × جيزة ٤٠) قطن أبيض منافس للمنوفى ، وأخيراً قطن جيزة ٥٨ (منوفى × جيزة ٢٨) وهو أشهر منافس لجيزة ٣٠ ، وكل هذه الأقطان كانت نتيجة بحوث الدكتور الكيلانى ومساعديه محمود جوهر وحسين عفيفى ومحمد عبد الغفار والدكتور حسن الديدى .

ومن أقطان الهيئة الزراعية المصرية (الجمعية الزراعية الملكية سابقاً) قطن بهتيم أبيض ، ثم قطن بهتيم ١٨٥ المنتخب من القطن الأشمونى ويتعادل معه فى الصفات مع وفرة المحصول ، وهذه الأقطان من إنتاج أحمد عفيفى وعبد المجيد يوسف وزملائهم الفنيين بالهيئة .

ومما سبق نرى أن الفضل فى إنتاج أصناف القطن المصرية يرجع إلى الفنيين العرب بالإقليم المصرى وهم الجنود المجهولون والسبب فى ظهور الأجانب عليهم بسيط : أولا أن الأقطان التى انتخبها تجار القطن اليونانيون كانت تسمى بأسمائهم ، والسبب الثانى هو أن الفنيين الإنجليز كانوا رؤساء هؤلاء العرب فى العهد الماضى وكان يعزى إليهم الفضل فيما يظهر من نتائج يعززه مركب النقص عند البعض بأن الأجنبى خير من العربى ، وهو الذى يسعى العهد الحاضر لإزالته من عقيدة البعض .

ولما كان عمل الفنيين العرب بالإقليم المصرى جماعى فبديهى ألا يذكر اسم فرد خاص بل يعود الفضل إجمالا إلى وزارة الزراعة كهيئة حكومية أو إلى الجمعية الزراعية كمؤسسة أهلية .

أما التدهور الذى يحدث بين حين وآخر فى صفات بعض الأقطان المصرية أو فى محصولها فيرجع إلى عوامل عدة لا دخل لها بإنتاج الفنيين العرب بالإقليم

الجنوبى ، وليس هذا التدهور الطارىء جديداً على الإقليم المصرى فقد ظهر فى قطن السكلاريدس لإصابته بمرض الذبول وقطن جيزة ٧ لخلط بذوته ، وجاء ذكر ذلك التدهور فى تقرير مؤتمر القطن الدولى فى مصر سنة ١٩٢٧ وقد ورد فيه ما يلى : —

« شهدت مصر أثناء الخمسة والعشرين سنة الماضية تقريباً نقصاً فى حاصلاتها القطنية وانحطاطاً فى نوع هذه الحاصلات ، ولهذا النقص نوعان من الأسباب — نوع عرضى أثره غير دائم ونوع أساسى أثره دائم .

والانحطاط الذى لوحظ فى النوع لم يأت من انحطاط الأصناف المزروعة بل لعدم نقاوتها وسبب هذا هو التزاوج الخلطى الذى كانت ولا تزال معرضة له .

فالحل الحاسم للمسألة القطنية هو عزل الأصناف الموجودة وتنقيتها أو إيجاد أصناف نقية جديدة أوفر ربحاً من الموجودة ومضاعفتها ونشرها لتزرع بعد ذلك جميعها بعيدة عن كل عدوى .

ولقد رأينا كيف أن وزارة الزراعة والجمعية الزراعية الملكية قد نهجا طريقة لاستخلاص النقى من الأصناف .

وكيفما كانت الطريقة التى تستخدم فمن المحتم التجديد المتوالى الدائم فى التقاوى الأساسية المنتقاة ولهذا لوحظ فى البرنامج المتبع فى الوزارة وفى الجمعية وفى مصلحة الأملاك الأميرية ضرورة إمداد جمهور الزراع ببذور لا تبتعد قط عن أمها الأصلية بأكثر من خمس سنين أو ست » .

هذه هى السياسة التى رسمتها وزارة الزراعة منذ سنة ١٩٢٧ . ولقد فكر من قبل فى قفل مناطق الزراعة على الأصناف ، وتخصيص المحالج لأصناف خاصة ، ووضع علامة مميزة على (زكائب) تقاوى القطن توضح سنتها بالنسبة للإكثار الأول وبعدها عنه ، ولم يتيسر تنفيذ كل هذا لتدخل البرلمان حماية لعقيدة عدم التدخل فى حرية الفرد .

بما أننا ذكرنا فضل الفنيين العرب بالإقليم المصرى فى استنباط الأصناف الجديدة من القطن فيحسن ألا ننسى فضل زملائهم الآخرين كالفنيين فى مصنع اختبار غزل القطن كأحمد يوسف والمرحوم هانكوك ومساعديهم ممن عاونوا فى اختيار صفات التيلة والغزل للسلالات الجديدة .

وكذلك لا يصح أن ننسى فضل الزملاء الآخرين فى جهات العمل الأخرى كتقدير محصول القطن وتسويقه مما كان له أكبر الأثر فى زيادة الثروة القومية من القطن المصرى وحسن سمعته .

والذى نرجوه وقد نالت البلاد كامل استقلالها واسترجعت كرامتها أن يشعر الفرد فيها بمسئوليته تجاه وطنه فيخلص لعمله ويكون أميناً عليه غيوراً بأدائه متعاوناً مع غيره للوصول إلى الهدف الأسمى وأن يكتب الله لنا التوفيق .

المراجع

(١) مؤتمر القطن الدولى بمصر عام ١٩٢٧ — وزارة الزراعة .

(٢) اجتماع اللجنة الاستشارية الدولية للقطن بمصر عام ١٩٤٨ — وزارة الزراعة .

(٣) مؤتمر القطن الدولى بمصر عام ١٩٥١ — وزارة الزراعة .

(٤) البحوث الزراعية والفنية فى عشرين عاماً (١٩٢٨ — ١٩٤٨) — وزارة الزراعة .

(٥) نبات القطن فى مصر (بالإنجليزية) تأليف الدكتور لورنس بولز — ١٩١٩ .

(٦) أقطان مصر الحالية والمندثرة تأليف محمود عبد الحميد حلمى — ١٩٤٩ .

(٧) القطن ، الذهب الأبيض فى مصر (بالإنجليزية) — ١٩٥٨ .

(٨) المجلة الزراعية (العدد الثانى — السنة الثانية — ديسمبر ١٩٥٩) .

(٩) القطن من النواحى النباتية والزراعية والصناعية والاقتصادية تأليف محمود فهمى الكاتب وإبراهيم بولس واميل توفيق — ١٩٥٩ .